

العاشق

بقلم الروائي: محمد سامي البوهي

وأضاء المُحيا حياءً بحنايا العشق، فارتفعت الروح تطوف حول مُحياها، فضاقت بها الأرضون بما رحبت، وصارت السماء لها متسعًا. فالروح إذا ارتفعت سجدت، وإذا هبطت سُجنت، وإذا نُثرت اندثرت، وإن مالت مَلَّت، وإن اشتاقت رانت، وإن تلهفت برقت، وإن أحببت استكانت، وإن كرهت سقطت، وإن أُصيبت زهدت، وإن صعدت نجت، وإن بقيت فويت، فانظر إلى الكون حيث يسكن الله في كل مكان كان ولم يكن، واختر لنفسك مهرَّبًا من الناس تفر به إليه، تَحَدَّثُ معه كثيرًا، فهو يسمعك... وهو وحده من يملك كل الحلول، وهو وحده من يغير ولا يتغير، وهو وحده من يبتسم لك، ويحنو عليك، ويأسرك لتكون حرًّا بأفكارك.

والأرواح رزق للأجساد، تتعجل للتقاطه، فما بين فرحة ورجاء ووعد يكمن الرزق، أما ما بين الأرقام خواء، فلا تحزن لفراق كُتب له الفناء، وافرح بلقاء أبدي لا ينقطع فيه رزق قط.

كيف تضع يدك على قلبك ولا ترى الله داخلك؟

ليس في قلبك سوى مهجة كلما رانت راقبت، وكلما تجددت عادت، وكلما عشقت زادت طمعًا، لكن إن أصابها سوادٌ سَلَمَتْ نفسها للمطر، فصعدت.. صعدت إلى حيث المنتهى الأول، وليس الطريق وحده ما يأخذك إلى حيث المنتهى، فهناك من الطرق ما لا ينتهي، لكنه النور وحده ما يجمع كل النهايات.

العين ترى ولا تؤمن، فترى النور ولا تضيء، وترى الظلام ولا ترى ما يستره، لكن القلب يرى كل شيء ولا نراه.. ولكنه وحده من يؤمن بما يراه ولا نراه، وإن الشر لهو خير لمبتغاه، أما الخير فهو خير حتى أمد الدهر، فلا الضر يأسرك أبدًا، ولا بالنع أنت نبي مرتجى، أما إذا ساورك الشك فارفع يديك إلى السماء كي تحملها عنه، فانظر إلى أعلى دائماً، حيث ترى بين خطوط الكون طلاسسم السمو، ولا تخفضها حتى تؤمن بأن موسى قد غفل فهوت القارورات من بين يديه وانكسرت، لكن عين الله لا تنام، وما بيديه لا يهوي أبدًا إلا بأمره، والروح تواقفة، فأطعها، فهي النجاة التي تأسرك لتطرق أبواب الجنان، فاركض برجلك نحو الحيوان الأبدي، فهناك ستجد ما يحملك إلى حيث قُدِّرَ لك، وابتسم لذنوبك لأنها قد فارقتك بارتكابها، وتعلق بالحسنات لأنها سترفعك إلى السماء، واقبض على قلبك لأنه عن المعاصي مُنرَّة، وأزهد حواسك لأنها شاهدة عليك يوم اللقاء، ولا تبتئس من المآسي، فهي كماء عذب يُخَفَّفُ به منقوع من الملح.

فاخفض روحك دائماً كي تصعد، واصلد دائماً ولا تقاوم، وقاوم دائماً كي تصعد، اصعد.. اصعد.. اصعد، فستحملك أوجاع زهدك، وانصب لنفسك مأمناً في الدنيا، لتكون مطمئناً في الآخرة..

اصعد..

لا تخش الارتفاع بنظرك لمن فارقتهم، فهم راحلون مثلك، كلُّ إلى حال مصيره المنتظر، وإياك من التعلق بنظرة تثقلك، فقط هي روحك التي تجذبك نحو المنتهى، فاصعد.. اصعد.. واسعد بمن يتلقفك في الجنة.

اصعد..

ففي الصعود سمو، وسموك قد سبقك إلى هناك قبل أن تولد أنت، فروحك كتب لها النجاة قبل أن تخطو بعملك، فاقترب ذنبك المستقيل، ولا تحزن لفراق الخير، فعثراتُ تقويك إن أدركت الطريق، وطريق يأخذك من طريق إلى طريق، حتى تتقاطع كل الطرق، وتبقى روحك تطوف سبغاً حول نقطة التلاقي، فإلى ربك المساق، وعند ربك أنت تُرحم.

اصعد..

ولا تبتئس، ففي صعودك حياة، لم تعيشها بعد، أما دنوك فيحمل حياة عشتها قطعاً، وانتهت، وتركها شئت أم أبيت، فلا مخلص في حياة زائلة، ولا زوال إلا بعد أمر، ولا أمر إلا وتبعته طاعة، ولا طاعة إلا بقناعة، ولا قناعة إلا بإيمان، ولا إيمان إلا بمشيئة، ولا مشيئة إلا بما شاء، فاصعد.. اصعد ولا تبتئس، ففي صعودك حياة لا تنتهي..

اصعد..

اصعد..

فأنا العاشق الذي غضضتُ الطرفَ عن الأسباب، وتعلقت بصاحب كل سبب، فأتبع سبباً، وانساب قلبي في سبت من العطر، فتسريت من أوجاعي تنهيدةً عشقٍ هبَّت على وقعها الأزهار

وارتفعت أسراب الذاكرين تطلب من صاحب الأسباب من كل سبب سبباً.

فما أجمل العشق الإلهي المفعم بالنور الذي يشع من قناديل الأولياء، فيصبح الكون كله أمام عينيك مضيئًا بالتسايح، والذكر.. وتتنزل عليك أجنحة تحملك إلى حيث لا تعلم، فتعلم أن هناك قلبًا يسكنك يشواق، وتتعلم رموزًا، وأسماء يشكلها السحاب في الآفاق، لا يقرؤها سوى أنت، ولا يبتسم لها سوى أنت، ولا ترسم سوى وجهك أنت، فلا حائل بينك وبين علمك بمنعك، ولا حاجز يجبر داخلك كذنب كبير يأسرك في دوامة اللائمين، فتظل راضيًا، مرضيًّا، ترفع يديك بالدعاء وتستجير، فيهتك يقينك ستر الريب، وتأخذك روحك إلى حيث يسكن الأنبياء في السموات، فسماء لعلم هو لك، وسماء لشفاء هو لك، وسماء لبرهان هو لك، وسماء لمعرفة هي لك، وسماء لحكمة أتتك، وسماء للنجاة منك، وسماء أخيرة هي أنا وأنت، فَرِدْ من عشقك عشقًا به تشواق، فليس للعاشق سوى فؤاد واحد يجلس به مع الله حينما تنفض من حوله المجالس، حيث لا وجود لغبار تركته أمم خلفها، ولا وجود لكلمات تصرفك عن تمام الكلام، ولا وجود لأسرار سوى سر بينك وبين صاحب السر الكبير، فاعشق.. اعشق.. وزد من عشقك عشقًا؛ ترتفع، فأنت عالم فسيح، يسبح في عالم أكبر، من فوقه عوالم أكبر، يرى، فيرى ما لا يرى، ويسمع من داخله ما لا يسمعه إلا هو، فيهيم في الملكوت يبحث عن اللاشيء، ويرتجي نظرة منه، وعفوًا، ورحمة ومغفرة!